إبراهيم المعجل...غير قابل للكسر

حينما تشاهد لاعبا غضا بارعا سترشحه للعب دوليا، أما عندما تستمع إلى إبراهيم سعد المعجل (٢٨ عاما) فستجزم بأنه سيكون وزيراً أو باحثا فذاً.

المعجل الذي سيحصل على درجة الدكتوراه من جامعة ستانفورد العريقة الشهر المقبل، إن شاء الله، في علوم وهندسة الإدارة، شاب بإمكانات استثنائية. يسحرك بذكائه، وإمكاناته، ولين عريكته. يذهب عنك، لكن صوته يعلق في رأسك، وابتسامته في عينيك.

يصفه زميله المهندس فالح السبيعي، الذي يتابع دراسته العليا في جلاسكو: «لم أشاهد إبراهيم قط بحاجبين معقودين، أو جبين مقطب. مشع، ومبتهج، ومتقد على الدوام».

obeikandl.com

شخصيا، كنت أتواصل هاتفيا بكثافة مع إبراهيم في أثناء إعداده أطروحة الدكتوراه، وكنت أخشى أن أجده متوترا أو قلقا أو ضجرا، لكن كل مرة أجده مبتهجا. أغرف التفاؤل من حديثه وأدفنه في جوفي، كأنه ينصحني على طريقة إيليا أبو ماضي عندما صدح قائلا:

أيُّها العابسُ لن تُعطَى على التقطيبِ أُجْرَهْ

لا تكنْ مُـرًّا، ولا تجعَـلْ حيـاةَ الغيـرِ مُرَّهْ

إنَّ من يبكي لهُ حَوْلٌ على الضحكِ وقُدْرَهْ

فتَهَلَّـلْ وتَرَنَّـمْ، فالفتـى العابسُ صَخْـرَهْ

تفرد إبراهيم ليس في ابتسامته وسلوكه الاجتماعي الزكي الذي يستنشقه القريب والبعيد، بل في تفوقه المذهل الذي يجعلنا نفتح أفواهنا مع كل إنجاز يحققه مرددين: «ما شاء الله».

حاز إبراهيم (ميدالية المؤسس) من كلية الهندسة في جامعة فاندربيلت في ناشفيل بولاية تنيسي الأمريكية، بعدما تخرج بمعدل ٤ من ٤، أولا على دفعته. وقد كرمته الجامعة، التي تأسست عام ١٨٧٣، ويدرس فيها نحو ١١٨٠٠ طالب من أكثر من ٩٠ دولة في العالم، في حفل عارم جراء تفوقه الكبير ومساهماته اللافتة في مراكز أبحاث الجامعة وجمعياتها الاجتماعية.

فإبراهيم من مؤسسي جمعية الطلاب الشرق أوسطيين في الجامعة بالإضافة إلى جمعية الطلاب المسلمين، كما نظم العديد من المؤتمرات والفعاليات في داخل ناشفيل وخارجها.

تفوق إبراهيم في الجامعة لم يأت من فراغ، بل نتيجة تراكمات. فقد كان الأول على المملكة في الثانوية العامة عام ١٩٩٧ بمعدل ١٠٠٪. وكان أول سعودي يحرز هذه النسبة الكاملة في التخصص العلمي. وكان في القاهرة مع ابني عمه: مروان وعبدالعزيز عندما تلقى نبأ حصوله على المركز الأول في الثانوية العامة. يتذكر: «هاتفتني خالتي في الفندق مهنئة. قفزت على السرير من شدة الفرح. ثم صليت ركعتين شكرا وامتنانا».

لم يكن هاجس إبراهيم، وقتئذ، الحصول على المركز الأول بقدر مواصلة تفوقه والأخذ بنصيحة والده، نائب رئيس مجلس إدارة غرفة الرياض ورجل الأعمال المعروف، الذي كان يقول له مع نهاية كل عام دراسي: «مبروك، لكن ننتظر منك المزيد».

وقد التحق بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن فور تخرجه، لكن سرعان ما غير بوصلته باتجاه أرامكو السعودية بهدف الابتعاث والدراسة في الولايات المتحدة. وأكثر ما أحزن إبراهيم، آنذاك، عدم قبوله في جامعة ستانفورد؛ لأنه لم

يكن يعلم متطلباتها. يقول: «أغلب طلاب العالم، تتم تهيئتهم قبل التخرج من الثانوية، لكن مع الأسف لا توجد لدينا برامج في مدارسنا ترشد الطلاب وتوجههم، ما يجعلنا تائهين إلى سنوات متقدمة في تحصيلنا العلمي».

التحق بجامعة فاندربيلت، لكن كان يفكر في متابعة دراسته العليا في ستانفورد. فهو شغوف بالانضمام إليها نظرا لسجلها الحافل. فقد حصل ١٨ من طلاب ستانفورد على جائزة نوبل إثر انتقائيتها في اختيار منسوبيها وبرامجها المكثفة والمتميزة في مجالات إدارة الأعمال، والطب، والهندسة. وقد أسس الكثير من طلابها مؤسسات تقنية ذائعة الصيت مثل: إتش بي، صن مايكروسيستمز، وياهو، وجوجل. وتتربع الجامعة التي تأسست عام ١٨٨٥ في كاليفورنيا، على صدارة التصنيفات العالمية في تخصصات عدة.

وتحقق لإبراهيم ما أراد عندما حصل على قبول متابعة دراسته العليا فيها بعد أن أمضى عامين فقط في دراسة البكالوريوس. فقد اجتاز بتفوق الاختبارات التمهيدية للماجستير مثل (الجي آر إي). كما حصل على دعم أساتذته وزملائه. ويؤمن إبراهيم بأن المرء إذا أراد شيئا سيحققه بالتصميم والإرادة. فهو غير قابل للكسر. ويمقت الاستسلام

والسكون متسلحا بالبيت الشهير: إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة.... فإن فساد الرأي أن تترددا.

ولا يفتقد إبراهيم في أمريكا سوى أمه، هالة المعجل، الحاصلة على الماجستير في الإحصاء، والمحاضرة في الأساليب الكمية. يقول: «ورثت منها جديتها وانضباطها وولعها بالأرقام. أتوق دائما أن أقبل جبينها».

وقد حصل إبراهيم على الماجستير في الهندسة الكهربائية من ستانفورد بامتياز مع مرتبة الشرف بمعدل ٣,٩٥ من ٤.

ويمضي إبراهيم، الذي رزق حديثا بابنه البكر سعد وسيتوج مسيرته العلمية قريبا بالدكتوراه، جُلّ وقته في مختبرات جامعة ستانفورد برفقة أستاذه البروفيسور رون هاورد (٧٥ عاما). يقول إبراهيم: «الحديث مع الدكتور هاورد كالسباحة لا يمكن أن يكتمل يومي من دونها». فقد تعلم من أستاذه الكثير من التقنيات البحثية والمعرفية. ويحلم إبراهيم بأن يصبح مثل معلمه الناجح أكاديميا، وبحثيا، وتجاريا. فرغم أن هاورد يحصل على ملايين الدولارات من الشركات العديدة التي يعمل مستشارا لها، إلا أنه لم يتوقف يوما عن التدريس ونقل خبراته لطلابه «لإكمال النهضة العلمية» على حد تعبيره.

إبراهيم مهتم بالاقتصاد المعرفي وتدريب الناشئة وتوجيههم. يقرأه رفيق فصله السابق إيد نييل: «تلمع أسنان إبراهيم ويسطع فكره كلما تحدث. أثق بأنه سيكون باحثا مرموقا وشيكا، أو مسؤولا رفيعا».

سيكون إبراهيم كذلك أو أكثر قليلا. وسينضم إلى قائمتنا الذهبية من المبدعين التي لا يخلو أي مجلس من حضورها تصريحا وتلميحا كالدكتور عبدالله الربيعة، والدكتور غازي القصيبي، والدكتور سلمان العودة.

هنيئا لنا بإبراهيم. هنيئا لنا بمن لا يستكينون ولا ينكسرون.

★ نشر في يوم الجمعة ١٢ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ٩ يناير ٢٠٠٩م.

obeikandl.com